

موقف هابرماس من الأخلاق الكانطية

Habermas position on Kantian ethics

د. حمياني صباح¹

hemiani sabah¹

¹جامعة محمد بوضياف-المسيلة، sabah.hemiani@univ-msila.dz

تاريخ النشر: 2024/07/01

تاريخ القبول: 2024/06/25

تاريخ الاستلام: 2024/04/05

ملخص:

سنحاول من خلال هذا العنوان أن نقف على الخطوط العريضة التي تحدد موقف هابرماس من فلسفة كانط وموقفه من القيمة الأخلاقية تحديدا، خاصة وأن العمل على مسألة الفلسفة العملية الكانطية لم يتوقف منذ نشأة النظرية النقدية وإلى حدود الكتابات المتأخرة إذ تمثل المسألة العملية المحرك الحقيقي لمشروع النظرية النقدية. ففي العديد من مؤلفاته نجده يحدد موقفه من الأخلاق الكانطية من خلال إعطائه لأخلاق الواجب فاعليتها في المجتمع لتصبح بذلك أخلاق ذات طابع عملي بالاعتماد على اللغة كآلية من آليات التواصل.

كلمات مفتاحية: الأخلاق ، الواجب، الغير، النقد

Abstract:

Through this title, we will try to identify the broad outlines that define Haber Mass's position on Kant's philosophy and his position on moral value specifically, especially since work on the issue of Kant's practical philosophy has not stopped since the inception of critical theory and up to the limits of later writings, as the practical issue represents the real engine of the theoretical project. Cash. In many of his writings, we find him defining his position on Kantian ethics by giving it to ethics that must be effective in society, thus becoming ethics of a practical nature, relying on language as a mechanism of communication.

Keywords: Ethics, duty, others, criticism

1. مقدمة:

لا يمكننا فهم فكر هابر ماس دون العودة للجذور الفكرية والأصول الفلسفية التي اعتمدها وناقشها وعدلها ونقدتها ، فما وصل إليه كان مدينا ومتأثرا وقائما على كثير من أبعاد تلك المؤثرات وفي محاولة منا وجب الوقوف على الأسس والمرجعيات الفكرية لفكر هابر ماس تمهيدا لتتبع مسار بعض النماذج الأكثر أهمية بالنسبة له من خلال توضيح معالم فلسفته الأخلاقية ، ومن بين هذه المؤثرات الفلسفة الأخلاقية الكانطية، ويمكن أن نلمح تأثير هابر ماس بفلسفة كانط في مجالين هما : (الأخلاق والسياسة) وبقدر ما يتفق معه لا أنه ينتقد بعض الآليات التي اعتمد عليها ورغم الاختلاف إلا أننا نجد كانط شق الدروب المعاصرة للأخلاق حين نقد طموحات العقل مبرزاً بذلك دور العقل في حيز الأخلاق ، ممثلاً إلى حد بعيد إحدى المرجعيات الكبرى للأخلاق النظرية في العصر الحالي لدى كثيرين خاصة منهم هابر ماس من خلال العقل العملي في فلسفته . الذي يظهر كلياً من حيث كلية القوانين الأخلاقية المرتبطة فينا بالتوافق وكتحصيل حاصل للقناعات الأخلاقية الجماعية ، التي تحترم متطلبات التعايش العقلاني هذا الشأن جعل حضور الأخلاق الكانطية لا تغيب تماماً في أهم المواقف والأفكار موظفا مفاهيمه كمفهوم الكلية الأخلاقية والاستخدام العمومي للعقل وتجلي هذا التأثير في فلسفة التواصل وأخلاقيات النقاش من خلال مؤلفه "نظرية الفعل التواصلي" إذ حاول أن يعطي لأخلاق الواجب فاعليتها في المجتمع لتصبح أخلاق عملية قوامها النقاش والتوافق وتحرير الوعي الاجتماعي لتحقيق التواصل الإنساني، ومن هنا نتساءل: هل كان هابرماس مجدداً للفكر الأخلاقي الكانطي؟ .

1. مكانة العقل عند هابرماس

لم ينكر هابر ماس الدور الكانطي في مشروعه الفلسفي نخص بالذكر الجانب الأخلاقي إذ رأى أن أساليب التفكير المتعالي مازالت صالحة وبإمكانها تقديم الأسس والفروض التي تقوم عليها ميادين الفعل والتواصل ، ومن خلال تطور النظرية العقلانية بدون أي منفعة أخلاقية أو معيارية على طريقة كانط، بناء على ذلك يتحول التفكير العقلي إلى نظرية نقدية لإعادة بناء الحياة الاجتماعية عن طريق الحوار في إطار العقلانية العملية في ممارسات الحياة اليومية والسلوك مع الحفاظ على صفة الكونية المميزة لها، إن المسعى الجاد الذي أراده يورغن هابر ماس من خلال التداولية الكلية يوضح بعمق انحيازه للإرث الفلسفي الكانطي، فقد رأى ضرورة التركيز على فكرة الموضوعية العملية كما أقرها كانط بإضفاء الصبغة الكونية على القيم الأخلاقية والتأصيل الحقيقي للعقل العملي.

إذ حاول هابر ماس بناء على صفة الكلية وضع قواعد للخطاب العملي والفعلي الحر ولأخلاق التواصل السليم ، فالخطاب النظري هو ذلك الذي يمكن أن نحلل فيه معايير الصدق ، أما الخطاب العملي هو الذي نناقش فيه صدق المعايير ، بحث لا يصبح هناك أية قوة أخرى إلا قوة البرهان وبذلك تكون قواعد أخلاق التواصل أسس معقولة والمصالح التي يمكن تعميمها تعميما كلياً هي التي يمكن قبولها والاتفاق حولها. (عبد الغفار مكاي ، ، 1999 ، ص 95)

إن عودة هابر ماس إلى الفلسفة الكانطية هي تأكيده على ضرورة النزوع إلى العقلانية وإلى التواصل والحوار، فمشروعه الأخلاقي القائم على منطلقات التواصل واللغة يؤكد أن موضوع أخلاقيات النقاش يحتاج إلى تدخل من خلال تحقيق العمل الجماعي والابتعاد على الفردية وكثيراً ما حاول أن يوضح أن "الإنسان كائن إيتقي. ومن خلال تمجيد الأخلاقية الكانطية في صياغتها للأمر القطعي كقانون كوني بفضله يمكن تحقيق كلية القيم الأخلاقية أي كونيتها، بتجاوز كل ما هو فردي، ذاتي ونفعي ، "فالفعل الأخلاقي هو دائماً ذلك الفعل الذي لا يقبل الاستثناءات أو التغير وإنما يسري على كل الكائنات العاقلة فهو قانون كوني وليس مرتبط بأي حالة استثنائية." (سمير بلكفيف ، 2011 ص21)

من هذا المنظور حاول هابر ماس من خلال اتيقا الحوار تأصيل الموضوعية والصبغة الكونية المستمدة من الفلسفة الكانطية من خلال بلورة معنى الأمر القطعي على ضوء المنعرج اللغوي كميّار يمكن أن يحقق الإجماع والاتفاق والكونية. (يورغن هابر ماس ، 2010 ، ص09)

بناء على ذلك أصبح الفكر الأخلاقي المعاصر يفترض منعطفاً جديداً من أخلاق الذات إلى أخلاق التواصل، إذ في وسع المفكر أن يتوجه شطر الاتصال لأن اللغة تحيل على الاتفاق، وعلى القبول وعلى الاتصال الواضح، وعلى الاختيار لجملة الأفراد المشاركين في الحوار (جاكولين روس، 2002 ص75)

إن مسألة إرساء الموضوعية لتأسيس الأخلاق الكونية سؤال مازال يحظى باهتمام بالغ في الحوار الفلسفي، فإذا لاحظنا كيف استغل كانط فكرة صياغة مبادئ في المجال الأخلاقي من أجل تأسيس مطلقة القيم الأخلاقية فإن بلوغ المعنى الحقيقي لمفهوم الإتيقا بما هو بحث في التأصيل الفلسفي، أخذ يتجدد استكمالاً للمشروع الأخلاقي الكانطي وتحقيقاً لمطلب الكونية كما أقرته الحداثة (يورغن هابرماس، 2010 ، ص06)

سعى منظرو إتيقا النقاش إلى تحديد الشروط الجوهرية للأخلاق كما هو الشأن عند هابر ماس محاولاً الكشف عن نظام أخلاقي ممثلاً في الكونية الأخلاقية من خلال البحث عن المعايير الأخلاقية انطلاقاً من خاصية الكلية ففيمّا تتجلى هذه المعايير؟

2. دور العقل عند هابر ماس

عند هابر ماس في محاولاته الفكرية من سد الثغرات التي وجدها في النظرية النقدية وذلك بالدفاع عن العقل والعقلانية التي وجد فيها أساساً لنظرية نقدية جديدة وتحويل دوره من وظيفته المتعالية التي تحدد لكل علم مكانة إلى وظيفة الفاعل والحوار أو بمعنى آخر إقامة حياة اجتماعية حرة وفق أسس عقلانية قادته إلى التطلع نحو تحرير الوعي الاجتماعي وبناء نظرية قائمة على التواصل الاجتماعي، والتصدي للمطالبين بتحجيم دور العقل داعياً لتفعيله لا لتحجيمه "يعتقد أن الفعل الحديث لم يستنفذ كل إمكاناته للقيام بمراجعة ذاته ومحكمة نتائجه اللاعقلانية (عطيات أبو السعود، 2002، ص 81)

أعاد هابر ماس النظر في المجالات المتمثلة في الأخلاق والعلم والفن ليضع نظرية عقلانية للمجتمع من أجل عقلنة العالم المعيش ودمجها كلها مع بعض، لأن السلوك العقلاني يتميز بأنه يقوم على بناء ذلك النموذج الذي يرمي إلى العقلانية ويشجع على نجاح الفعل واستقراره من خلال: العقلانية الأدائية: من خلال إيجاد حلول للمشكلات وإيجاد الوسائل الفعالة. عقلانية الاختيار: باختيار البديل الأمثل للفعل.

عقلانية معيارية: بإيجاد حلول للمهام الأخلاقية العملية داخل إطار أخلاق تقوم على المبادئ (عطيات أبو السعود، 2002، ص 98، 97).

وفقاً لهذه الزوايا حاول هابر ماس تحليل البنية الاجتماعية للعقل ووضع الشروط الضرورية لإقامة حياة اجتماعية على أسس عقلية، بإعادة صياغته للعقلانية وتحليل نشاط العقل بمختلف أبعاده لاسيما منه البعد الأخلاقي ليؤكد على النشاط التواصلي "إن هذا العقل يتجاوز العقلانية الغربية التي أعطت أولوية مطلقة للعقل الفاني، والتي تهدف إلى تحقيق مصالح وغايات معينة، فهذا العقل يبني على فعل أخلاقي يقوم على الاتفاق وبعيدا من الضغط على القوة الخالية من عنف الخطاب وعلى هذه الأسس يؤثر المتحاورون الواحد في الآخر على الفاعلية الاستراتيجية، وفي الفاعلية التواصلية يؤثر الفاعلون طبقاً للتفاهم وهذا هو مبدأ الأخلاق. (عمر مهبيل، 2005، ص 360)

إن مفهوم العقل عند هابر ماس يسقط من حسابه أية مسألة جوهرية وتعبير آخر أن العقل عنده لم يعد جوهرياً، سواء كان هذا الجوهر موضوعياً أو ذاتياً، بل أصبح معمولاً به نتيجة لتأثيرات المدرسة التحليلية عليه إذ رأى أنه سيكون من الحكمة البحث فيما هو عقلائي بدلاً من البحث في مفهوم العقل وعليه ينتقل الاهتمام المركزي إلى العقلانية بدل التركيز على العقل في طابعه المجرد.

(عمر مهبيل، 2005، ص 361)، فإذا كانت الحادثة قد انتهت بما يسميه هابر ماس بالتمايز بين العلم والأخلاق والفن،

فإن قصر مفهوم العقل عن فلسفات الوعي مؤكداً أنه يمثل جانباً واحداً فقط من النشاط العقلي، وأراد وضع العقل في إطار أشمل لهذا قام بإدخال البعد التواصلية هذا الأخير في نظر هابر ماس يظهر من خلال "العلاقة التي يقيمها القادرين على الكلام وعلى الفاعلية عندما يتفوقن على شيء معين". (أبو النور حمدي وأبو النور حسن، 2012، ص 138).

3. نحو تأسيس عقلانية جديدة

كانت الدعوة إلى التخلي عن دور العقل سبباً في إعادة هابر ماس لتفعيل أهمية العقل باعتباره المنطلق الأساسي لأي نظرية في المجتمع محدداً مفهوم العقلانية قائلاً "إن ما نسميه عقلانية هو أولاً الاستعداد الذي تبرهن عليه ذوات قادرة على الكلام والعمل على اكتساب وتطبيق معرفة قابلة للخطأ". (يورغن هابر ماس، 1995، ص 482)

فهاجر ماس من خلال طرحه هذا يتدخل ويطور مفهوم جديد للعقل مفهوم أكثر كفاءة وقوة وحدانية وهو العقل التواصلية، هذا العقل يرتبط بالحادثة وتنتجه، ويستفيد من معطيات العقل النقدي ويتجاوز كما أشرنا عيوب العقل الأداتي وي طرح نفسه بديلاً للممارسات العقلية والإجرائية، فإدخال الفعل التواصلية في حيز العقلانية سببه إعطاء العقل صفة الكلية، هذا البعد هو الذي يحقق التفاعل بين الناس عن طريق اللغة والهادف إلى التفاهم المتبادل وفق معايير أخلاقية تحكم العملية التواصلية وفقاً لضوابط متفق حولها وهذا ما يعرف بالعقلانية التواصلية.

فمن خلال تحديده لمفهوم العقلانية حدد نظرية الفعل التواصلية التي وضح أنها تنشأ عن علاقة داخلية بين الممارسة وبين العقلانية التي تقدم للمضمون المعياري المرتبط بالفاعلية الموجهة نحو الفهم المتبادل إلى ما يعرف بالعقلانية التواصلية، (يورغن هابر ماس، 1995، ص 22).

وفي حديثنا عن العقلانية التواصلية نجد أن هابر ماس أعطى للعقل مفهوم جديد من خلال نقده للعقل الأداتي مؤكداً على دور العقل كمنطلق أساسي لأي نظرية اجتماعية ومن هنا حاول دمج الطابع التواصلية وربطه بالعقلانية إذ يهدف من خلالها إلى وضع نظرية نقدية للمجتمع تقوم على مبادئ عقلية يقول: "أريد أن أوضح أنه من الممكن تطوير نظرية الحادثة باستخدام نظرية تملك الدقة التحليلية التي يحتاجها المجتمع (أبو النور حمدي وأبو النور حسن، 2012، ص 248).

ويهدف هابرماس من العقلانية التواصلية إلى وضع نظرية نقدية لمجتمع يقوم على أسس عقلانية: "أريد أن أبين أنه من الممكن تطوير نظرية الحادثة باستخدام مفاهيم نظرية تواصلية

تملك دقة تحليلية تحتاجها الظاهرة الاجتماعية المرضية التي يمسها التراث الماركسي بالتشويؤ. " مما يستدعي من العقل التواصلي تجاوز الذات، وبناء نسيج تواصلي بين الذوات هذه الرؤية الجديدة للتواصل تمثل إسهاما أصيلا للعقلانية التوافقية وعندما يطرح هابر ماس هذا العقل التواصلي لا يريد الامتثال للعقول التي تدعي تقديم حلول فورية لإشكاليات مركبة في البيئة الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية، إنه يريد أن يكون عقلا متوصلا مع غيره.

وهذا يحاول هابر ماس جاهدا الانتقال من العقل الأداتي الظاهر بوضوح في المركزية الغربية إلى عقل آخر وهو العقل التواصلي، فيؤكد في كتابه الخطاب الفلسفي للحدث: " على أن العقلانية التوافقية نقاش بالقدرة التي يحوزها الأشخاص المسؤولون والمشاركون في تفاعل ما إلى التوجه بالقياس إلى إدعاءات الصلاحية التي تستند إلى اعتراف ذاتي فهذا العقل يضع مقاييس العقلنة". (يورغن هابر ماس ، 1995 ، ص372)

ويمكننا أن نقول أن هابر ماس من خلال كل أعماله يريد أن يؤكد على ما يسميه العقل التواصلي كصيغة تركيبية لقضية الحدث الغربية فالعقل التواصلي هو الذي ينظم النشاط الاتصالي والحديث عن العقل مما يستدعي الحديث عن الأسس التي يترتب عليها هذا العقل فالنشاط الاتصالي يسعى إلى وضع شروط لمجتمع ممكن. (يورغن هابر ماس ، 1995 ، ص356)

لذلك وجه أسهم النقد للعقل الغربي المتمركز حول الذات والانتقال منه إلى عقل آخر هو العقل التواصلي مؤكدا على ضرورة الخروج من فلسفة الذات من خلال مخرج مهم وهو العقل التواصلي. هذا العقل التواصلي الذي يقدمه هابر ماس كبديل يبني على فعل خلاف يقوم على الاتفاق وبعيدا عن الإكراه والتعسف هدفه هو بلورة إجماع يعبر عن المساواة داخل فضاء عام ينتزع فيه الفرد جانباً من ذاتيته ويدمجها في المجهود الجماعي الذي يقوم على التفاهم والتواصل العقلي. (أبو النور حمدي أبو النور حسن ، 2012 ، ص138).

ومن هنا نستطيع القول أن العقلانية التوافقية هي التي تنظم النشاط التواصلي سعياً وراء وضع شروط حقيقة لمجتمع ممكن.

4. شروط تحقيق تجربة تواصلية

إن ما أراده هابر ماس من النشاط التواصلي أن لا يتخبط في العشوائية وحتى لا يصبح توصلا مشوهاً وجب أن تحكمه شروط تتوافر في المشاركين في التفاعل فإذا كانت نظرية الفعل تبتعد عن فلسفة الوعي، فإن النشاط التواصلي لا يكون مجرد فعل تقوم به ذات منعزلة وإنما هو مناقشة أو حوار يتم بين مختلف الذوات الفاعلة أو بين ذاتين

فاعلتين على الأقل وتنتقل نظرية الفعل التواصلي في نموذج حوار الذات مع نفسها إلى حوار يتم بين الذات المشاركة في التواصل. وهذا يعني أنه ليس حوار فرديا للفاعل مع ذاته وإنما هو حوار ومناقشة تدور بين ذوات فاعلة مختلفة، (عطيات أبو السعود، 2002، ص 103)

وهذا الحوار تحكمه جملة من الشروط أهمها:

من حق كل شخص أن يشارك في حقل التجربة التواصلية وأن تتم عملية التواصل من خلال اللغة التي يتم بواسطتها علاقة بين المشاركين في التفاعل وبين العالم الخارجي وبين الذات الأخرى، (أبو النور حمدي أبو النور حسن، 2012، ص 150). فاللغة هي الوسيط الأساسي في النشاط التواصلي ومن خلالها يحدث التفاهم بتوظيف الجمل والعبارات.

-تهدف التجربة التواصلية للوصول إلى اتفاق بين الذات المشاركة في التفاعل وهذا يستدعي التقارب في وجهات النظر تقابلها إدعاءات للصلاحيات (محمد نور الدين آفاية، 1991، ص 197)

- العملية التواصلية تتطلب ديمقراطية الحوار من خلالها يتم توفر ظروف الإجماع الذي لن يتم الوصول إليه إلا عن طريق قوة الحجة الأمثل، وهذا يتطلب القدرة على الإقناع والحجة لكي يسود الرأي وتكون لديه قوة الحجاج. (عطيات أبو السعود، 2002 ص 139)

يتعين على المتكلم اختيار الألفاظ الدقيقة بالقياس إلى المعايير الأخلاقية الجاري العمل بها، لكي يتمكن المستمع من قبول تلك الألفاظ بطريقة تجعل كل منهما يحقق القدرة على الاتفاق (محمد نور الدين آفاية، 1991، ص 197)

حدد هابرماس شروط التواصل والمطالب الأساسية المفترضة للتجربة التواصلية من أجل فهم التعبيرات "قابلية التعبير اللغوي" للفهم وحقيقة مضمونة أو صدق محتواه ومصداقيته ومقاصده المعبر عنها، أو إخلاصها والمشروعية المعيارية، أي المطالبة بأن يكون صحيحا أو معياريا يقرب المتكلم من المستمع (عطيات أبو السعود، 2002، ص 105)

هذه هي الشروط التي يجب أن تعتمد عليها التجربة التواصلية لكي تتحقق، فهي شروط ذات أهمية في الحوار والنقاش لأنها تضمن تحقيق نظرية الفعل التواصلي.

5.دوافع هابرماس في البحث عن أخلاق كونية

إذا كانت نشأة الأخلاق عند كانط معتمدة على الذات الإنسانية كمنطلق وتتجه نحو تأسيس قانون أخلاقي كلي فإن الأخلاقية التي قدمها هابرماس تعتمد على ما هو عملي من خلال فاعلية النقاش والحوار لإرساء قواعد أخلاقية تتصف بالكلية، ورغم التأثير الملاحظ عند هابرماس إلا أن هذا لا يمنع أنه اختلف معه في كل ما ذهب إليه، حين غير اتجاه الفكر الفلسفي الأخلاقي من فلسفة أخلاقية تدور حول الذات إلى فلسفة قائمة على التواصل بين الأشخاص، من هنا أصبح للنقاش دور

مهم لمعرفة طبيعة القيمة الأخلاقية والوصول إليها والتأسيس لأخلاقيات النقاش يقول "هذا النقاش يتبع المعايير الأخلاقية معينة يضعها، ويؤسسها الوعي الأخلاقي ومع هذا كله لا يفرغ النظرية الحديثة للأخلاق محتواها والذي يظهر في النقاش بين الأفراد من أجل الوصول إلى أخلاق كلية وشاملة" (أبو النور حمدي وأبو النور حسن ، 2012، ص248)

ومنه فالسؤال المطروح:

- كيف استغل هابر ماس الإرث الكانطي وتحويله إلى فلسفة تواصلية؟
- هل بإمكان أخلاقيات النقاش أن تكون أساسا معياريا للعالم المعيش؟

6. الفعل التواصلي ومراحله

يصف هابر ماس التواصل على أنه فعل اجتماعي لا علاقة له بالوعي الإنساني إذ نجده ينتصر للنظرية الاجتماعية. والفضل في ذلك يعود إلى علماء الاجتماع في إعادة بلورة رؤية جديدة للتواصل قائلا: >> إن تحول المنظور الذي انتقل من الفعل الغائي إلى الفعل التواصلي بدا مع ميد ودوركايم فهؤلاء إلى جانب ماكس فيبر ينتمون إلى جيل المؤسسين للسوسيولوجيا الحديثة (J.Habermas , 1987, p9).

هذا ما دفعه إلى اتهام بعض النظريات الاجتماعية بالقصور لأن طريقة تناول مسألة التواصل لدى هذه النظرية لا تقدم حسبه رؤية واضحة لأنها ظلت سجيئة للتصور الفلسفي الأرسطي لمفهوم الفعل الغائي فالمقصود بالفعل التواصلي عند هابر ماس؟

إن مفهوم الفعل التواصلي في شكله العام يعتمد على تفاعل بين شخصين على الأقل يبحثان عن توافق حول أحد المواقف بهدف التنسيق والتوفيق بين خطط عملهم يقول هابر ماس "الأفعال التواصلية هي تلك الأفعال التي تكون فيها مستويات الفعل بالنسبة للفاعلين المنتمين إلى العملية التواصلية غير مرتبطة بمصالح السياسة، بل مرتبطة بأفعال التفاهم." (J.Habermas , 1987, p10) فالفعل التواصلي متميز عن غيره من الأفعال لكونه يهدف إلى البحث عن الأدوات التي تمكنه من التأثير على الغير ومن ثم الحاجة للتواصل إلى التفاهم لتحقيق التوافق، يقول هابر ماس:>>إن نشاط التفاهم المتبادل يخضع لشرط أساسي به يحقق المعنيون مشروعا لاتفاقهم المشترك، فهم يسعون لتفادي خطرين أولهما يتمثل في فشل التفاهم المتبادل وسوء الفهم، والثاني يتمثل في فشل مشروع الفعل والإخفاق التام، فتتحية الخطر الأول شرط لا بد منه لتلاقي الثاني.>>(1) لأن التفاهم يشكل غاية للفعل التواصلي مع مراعاة شرط عدم التأثير طرف على طرف آخر لأن ذلك يؤدي إلى فشل العملية التواصلية.

إن التواصل على حد تعبير هابر ماس >> هو الصوت القادر على توحيد عالم فقد كل مرجعياته لتتواصل بالأدوات والتقنيات التي تضيف التواصل نفسه، هذا هو جب التناقض الذي وفنا فيه حيث لجأت المجتمعات الحديثة إلى إعلاء القيمة المركزية للتواصل لمعالجة المشاكل التي نتجت عن خياراتها الأساسية). (J.Habermas , 1987 ,p417)

وفي المقابل أصبحت المجتمعات تعاني من اللاتواصل نظرا لكثرة وسائل الاتصال التي ألغت التواصل حيث يعاني الإنسان الحديث من الإحباط والعزلة وعدم تماسك النسيج الاجتماعي. فالتواصل يمثل نشاط تبادلي يتم بصورة شيء كالأصوات والإشارات والصور، مادامت رسائل التواصل المتبادلة بين المرسل والمتلقين رسائل غير واضحة. (علي عبود المحمداوي، 2012، ص227)

بناء على ذلك يحاول هابر ماس تجسيد خطاب أخلاقي بدعوى الحصول على المناقشة أو الخطاب فهو يهدف إلى تمييز جملة من المعايير الأخلاقية، لا يقدم الحجج وجلب معايير أخلاقية تجعل من أفكارنا مهمة للجميع، لكونه موجهة نحو قيادة الآخرين عن طريق البرهنة للاتفاق على الإدعاءات، هذا ما يؤدي حتما إلى الفعل التواصلي، هذا الفعل الذي يعرف القدرة على التفكير وتقديم الحجج القائمة على الفعل عن طريق الخطاب للوصول إلى معايير كلية.

ويمر الفعل التواصلي بمرحلة التفاعل التي يتوسطها رموز هذه المرحلة تقوم على (القول والفعل) فعن طريق القول يتم التعبير عن رغبة في سلوك ما وعن طريق البنية في تحقيق هذا الفعل يتم تلبية تلك الرغبة هذه الدلالة القائمة بين القول والفعل هي التي تشكل الحوار البينذاتي. ثم مرحلة الخطاب المتميز بالنسبة لمضمونه، من خلال هذه المرحلة ينفصل القول عن الفعل ولا يمكن الاعتماد عليهما من طرف الشخص الفاعل، بل يدخل هنا موقف الشخص المشارك ومن خلالها يتم التنسيق بين رغبتين متبادلتين في السلوك ويشكلان نظاما من الدوافع المشتركة والمتكاملة وهنا يتشكل الدور الاجتماعي، وتلها مرحلة الخطاب الحجاجي، وهنا تتشكل مقتضيات الصلاحية التي ترتبط بحالتين: الأولى أفعال اللغة المنجزة بالمرحلة الأولى والثانية معالجة افتراضات المعايير بحيث تكون قابلة لأن تكون شرعية أو غير شرعية، "إن التفاهم يعني التواصل من أجل اتفاق صالح." (3) (محمد نور الدين آفاية، 1991، ص212).

وبهذه المراحل يستوفي الفعل التواصلي تمامه ويكون أرضية صلبة للتفاهم والتواصل العقلاني.

7. خاتمة

إن تاريخ الفكر الفلسفي يبين مدى إسهام الفلاسفة في وضع مبادئ كونية لا تقبل التغيير، إذ نجد العديد من المحاولات لبلوغ الكونية والكلية بدءاً من الفكر الفلسفي اليوناني وصولاً إلى الفكر الفلسفي المعاصر، وهذه الرؤية تستند إلى خلفية فلسفية حول طبيعة الإنسان والكونية كمفهوم فلسفي توجي إلى ما يجب أن يكون عند كانط إذ يعمل على تطبيقها "أخلاقياً وسياسياً"، وبنفس القدر الذي كان فيه النقد هاما هذا الأخير يعني نقد قدرات العقل المعرفية وبيان حدود هذه القدرات قبل تجربة المعرفة للكشف عن المبادئ العقلية المحضة التي تؤسس التجربة وتجعلها ممكنة.

اهتم كانط بالعقل والذات العارفة أكثر من اهتمامه بالموضوعات، لأن هدفه هو البحث عن مشروعية المعرفة أي ما يعطي أحكام العقل موضوعيتها والمتعالي عند كانط ليس سوى هذه الطريقة في البحث، إنه المبدأ الذي يفسر خضوع الأخلاق لمبدأ التنزيه معداً بذلك أن مصدر القيم الأخلاقية إلى العقل وتقوم على فكرة الواجب الكلي، هذا الواجب إلزام يفرضه على أنفسنا وهو يعبر عن دلالة أساسية مفادها أننا نقوم بتأدية الواجب ولا نتعرف عليه إلا عن طريق الإرادة الخيرة التي تتميز بأنها خيرة في حد ذاتها وهذا تكون الأخلاق قاعدة عامة وثابتة وكلية، هذا ما دفع هابرماس إلى بلورة الأخلاق الكلية وإعادة صياغتها بين ذاتياً قصد إكمال مشروع الحداثة وإحياء التراث الكانطي من جديد بنقل الأخلاق من طابعها الفردي إلى طابعها الاجتماعي لتصبح أخلاق واقعية عملية وتتصف بأنها كلية لذا حاول هابرماس إعادة صياغة إحياء المشروع الحداثي الكانطي، ففي بناء الدولة الكوسمو سياسية انطلق من خلفية فلسفية تتمثل في تحديث التنوير عبر الوعي الديمقراطي المؤسس على مبدأ التشاور لكونه هو النظام الأفضل لدولة قانونية تداولية، إذ يعد نموذجاً لتحقيق نظام سياسي ناجح مبني أساساً على الفعل التواصلي أساسه التواصل وأخلاقيات النقاش والحوار في إطار فضاء عام يخلق تفاعلاً بين المشاركين بكل إرادة وحرية.

8. قائمة المراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية

- . حمدي أبو النور وحسن أبو النور، 2012، يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، دار التنوير، لبنان.
- . روس جاكين، 2001، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل العوا، عوايدات للنشر والطباعة، بيروت.
- . هابرماس يورغن، 1995، القول الفلسفي للحداثة، تر فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة دمشق.

. هابرماس يورغن، 2010، إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، تر عمر مهبيل، منشورات الاختلاف، الجزائر.

. نور الدين آفاية محمد، 1991، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة هابرماس نموذجاً إفريقيا الشرق، بيروت.

. مكايي عبد الغفار، 1999، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الكويت.

. بلكيف سمير، 2011، إيمانويل كانط فيلسوف الكونية، منشورات الاختلاف، الجزائر.

. أبو السعود عطيات، 2002، الحصاد الفلسفي للقرن 20، شركة الجلال للطباعة، الاسكندرية.

. مهبيل عمر، 2005، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، دار العربية للعلوم منشورات الاختلاف والمركز الثقافي العربي، الجزائر.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

.Habermas Jürgen ,1987,Theorie de l'agir communicationn,trad,JM.Ferry,paris